وما سواها (285)

العرب والسياسة والدين!!

د. صادق السامرائي
الطب النفساني، العراق / أمريكا

في طفولتي كانت جدتي تبدو وكأنها خبيرة بالسياسة والدين , فهي تحدثك عن السياسة والدين بلغة العارفين المتمكنين , وكنت أصغي إليها في جلساتها مع الآخرين الذين يحفون بها , فقد صار لها مئات الأحفاد الذين يزورونها كل يوم , وكأن غرفتها مهرجان!!

كانت جدتي تتابع إذاعة (صوت أمريكا , مونتي كارلو والإذاعة البريطانية) , فهذه مصادر معلوماتها , منها تستقي الأخبار وتعاينها وفقا لمداركها , والمستمعون إليها يناقشونها ويبدون آراءهم , وكأنَّ لا همّ لهم إلا ما يجري في هذا العالم.

وجدتي تنطلق في أحاديثها مما إكتسبته من معارف وقدرات ثقافية في مجالس بغداد في بداية القرن العشرين , والتي غادرتها بعد دخول مود إلى بغداد , أو كما تسميها " الكِسيرة".

"جاء الإنكليز وإنكسر الترك" , وتمضي في الإدلاء بقصصها الكثيرة عن كيف كانت العوائل تعتني بالجنود الأتراك , وتقدم لهم الطعام وتداوي جرحاهم وتدفن موتاهم.

في تلك المرحلة من العمر , ما كنت أفهم لماذا ينشغل الناس بالحديث عمّا يجري في الدنيا , ولا يتحدثون عمّا يجري في المجتمع وما يحتاجونه , ولا يفكرون بشيئ سوى ما حصل في الماضي , وما يحدث في الدول الغربية والأجنبية.

ولا أذكر حديثا بين الناس عن أوضاع المحلة والمدينة والمدرسة وغيرها , وكأن الناس يعيشون في عالم آخر , وينقطعون تماما عن واقعهم ومعاناتهم اليومية.

فعلى سبيل المثال , في مدينتنا أثناء الصيف تحصل عشرات الحالات من الغرق في مياه النهر , وما سمعت يوما أن الناس تكلمت عن كيفية منع الغرق , أو أن الخطباء والمسؤولين , فكروا بخطة لمنع الغرق في النهر , فهذا الأمر لا يعنيهم وإنما ما يدور في أصقاع الدنيا هو المهم!!

وحينما أصبحت طبيبا عملت في أماكن نائية بين الجبال , وكانت تأنيني إمرأة مُسنة , وبرغم

في طفولتي كانت جدتي تبدو وكأنها خبيرة بالسياسة والدين , فهي تحدثك عن السياسة والدين بلغة العارفين المتمكنين , وكنت أصغي إليها في جلساتها مع الآخرين الذين يحفون بها

كانت جدتي تتابع إذاعة (صوت أمريكا , مونتي كارلو والإذاعة البريطانية) , فهذه مصادر معلوماتها , منها تستقي الأخبار وتعاينها وفقا لمداركها , والمستمعون إليها يناقشونها ويبدون آراءهم , وكأنَّ لا همّ لهم إلا ما يجري في هذا العالم

في تلك المرحلة من العمر , ما كنت أفهم لماذا ينشغل الناس بالحديث عمّا يجري في الدنيا , ولا يتحدثون عمّا يجري في المجتمع وما يحتاجونه , ولا يفكرون بشيئ سوى ما حصل في الماضي , وما يحدث في الدول الغربية والأجنبية

في مدينتنا أثناء الصيف تحصل عشرات الحالات من الغرق في مياه النهر , وما سمعت يوما أن الناس تكلمت عن كيفية منع الغرق , أو أن الخطباء والمسؤولين , فكروا بخطة لمنع الغرق في النهر , فهذا الأمر لا يعنيهم وإنما ما يدور في أصقاع

قساوة المنطقة وصعوبة أسباب الحياة فيها , لكنها تحدثني عمّا يجري في الدنيا من أقصاها إلى أقصاها , فهمها ما يدور في أمريكا والدول الغربية , وما سيحصل لهذا العالم , وما تكلمت معي عمّا يجري في قريتها ومعاناة أبنائها وحاجاتها , ومضت تأتي إلى عيادتي لأطببها , لكنها تشعر بالقوة والقدرة والفخر عندما تقدم نفسها على أنها في قلب العالم , وليست مقطوعة عنه وتعيش في بطون الوديان والجبال.

وحينها كنت أحتار في تفسير هذا السلوك , وفي وقتها كنت أمارس الطب العام , ولا علاقة لي بالطب النفسي , لكن السلوك البشري كان يحيّرني وأحاول أن أجد له تفسيرا أو أن أفهم بعض الشيئ عنه , وعندما طحنتني الأحداث وأقنعتني أن العلة في العقل وليست في البدن , فعلل الأبدان يمكن تطبيبها لكن علل العقول قد تؤدي إلى فظائع ومجازر وحروب , إهتزت كل خلية في بدني وعدت أراجع ما كنت أحسبه طريقا صالحا للوجود.

ومضيت في عملي مع طبقات المجتمع المتنوعة , وتبين لي أن الإنقطاع عن الواقع المُعاش هو القاسم المشترك بين الجميع , وحسبت جوهر العلة التدميرية في مجتمعنا تكمن بهذا الإنقطاع.

وعندما إنتقلت إلى العمل في مجتمعات أجنبية , واجهتني ذات الملاحظة , فالإنقطاع عن الواقع المُعاش حالة قائمة , ومؤثرة بالسلوك اليومي , وكنت أصغي متعجبا للموضوعات التي يتم الكلام عنها , فالحديث السائد في المجتمع عن الرياضة والفن والسياحة والحيوانات الأليفة والطيور , ولا يمكنك أن تتحدث في الدين أو السياسة.

فالمجتمعات الغربية تشيح الطرف عن الحديث في الدين والسياسة , وذلك من تجارب مريرة مرت بها وأدركت بموجبها أن من أهم أسباب التدمير الإجتماعي والتأسيس للصراعات والتداعيات , هما السياسة والدين , فحالما يتم الخوض في موضوعات دينية وسياسية , تتحقق الإختلافات والتنافرات والتطورات السلبية في المجتمع , ولهذا فأن الحديث في ذلك يتسبب بمشاكل شخصية وإجتماعية وقانونية , لأن المستمع قد يحسبها إعتداءً على دينه وإساءة لمعتقده , ولهذا تكاد تكون هذه الموضوعات منبوذة تماما.

وفي هذا الخضم أخذت أعيد النظر في حساباتي , فالبشر لكي يعيش بأمن وأمان عليه أن يمتلك بعض آليات الإنقطاع عن واقعه , خصوصا عندما يكون متنوعا وفيه من كل شيئ شيئ , لكن العلة الحقيقية ليست بالإنقطاع , ولكن بالموضوعات التي تسود بين الناس , فما يتحدث به الناس هو المهم والمؤثر بالسلوك , فلو تحدثت المجتمعات الغربية عن الدين والسياسة وحسب , لأصبحت أحوالها أسوأ من أحوالنا , وتأريخها يشير لذلك , والحرب العالمية الثانية دليلٌ قاطع , مما دفعها إلى وعي حقيقة الحياة الآمنة وتأسيس الإتحاد الكفيل بالأمل والرجاء.

فالعيب العربي ليس في الإنقطاع عن واقعهم فقط , وإنما العلة العظمى تكمن في أنهم من

الدنيا هو المهم!!

عندما طحنتني الأحداث وأقنعتني أن العلة في العقل وليست في البدن , فعلل الأبدان يمكن تطبيبها لكن علل العقول قد تؤدي إلى فظائع ومجازر وحروب , إهتزت كل خلية في بدني وعدت أراجع ما كنت أحسبه طريقا صالحا للوجود

تبين لي أن الإنقطاع عن الواقع المُعاش هو القاسم المشترك بين الجميع , وحسبت جوهر العلة التدميرية في مجتمعنا تكمن بهذا الإنقطاع.

عندما إنتقلت إلى العمل في مجتمعات أجنبية , واجهتني ذات الملاحظة , فالإنقطاع عن الواقع المُعاش حالة قائمة , ومؤثرة بالسلوك اليومي

المجتمعات الغربية تشيح الطرف عن الحديث في الدين والسياسة , وذلك من تجارب مريرة مرت بها وأدركت بموجبها أن من أهم أسباب التدمير الإجتماعي والتأسيس للصراعات والتداعيات , هما السياسة والدين

لهذا فأن الحديث في ذلك يتسبب بمشاكل شخصية وإجتماعية وقانونية , لأن المستمع قد يحسبها إعتداءً على دينه وإساءة لمعتقده , ولهذا تكاد تكون هذه الموضوعات منبوذة تماما

في هذا الخضم أخذت أعيد النظر في حساباتي , فالبشر لكي يعيش بأمن وأمان عليه أن يمتلك بعض آليات الإنقطاع عن واقعه , خصوصا عندما يكون متنوعا وفيه من كل شيئ شيئ

العلة الحقيقية ليست بالإنقطاع ,

المجتمعات المصابة بإضطراب الحديث عن السياسة والدين , فهم مدمنون على هذا السلوك الذي يساهم بالفرقة والتناحر والصراع , والواقع العربي منذ منتصف القرن العشرين وحتى اليوم يؤكد بوضوح ساطع , أن المهيمن على التفكير العربي العام هو الدين والسياسة , وجميع الأحاديث يتم إختصارها بهذين الموضوعين لا غير .

فلا يمتلك العربي مادة للحديث سوى الدين والسياسة , ولهذا فأن المشاكل تتفاقم , والحلول تغيب والتداعيات تتعاظم , وكأنهم يدورن في دائرة مفرغة متبادلة القطبية ما بين الدين والسياسة , وبإلقاء نظرة سريعة على ما يُنشر ويذاع في وسائل الإعلام والخطابات , يؤكد سيادة الدين والسياسة , مما يعوق الخطوات اللازمة لصناعة الحياة الحرة الكريمة.

وهكذا تبدو العلة الجوهرية فيما يتناوله الناس يوميا في أحاديثهم ومجالسهم , فهم لا يتحدثون عن الرياضة والفن والعلم والفلسفة والمسرح والفلم والمباراة الرياضية , وما سيقومون به من سفرات سياحية ومتع جمالية , وإنما يكون السائد في مجالسهم ولقاءاتهم , ما هو عاطفي إنفعالي سلبي , يتسبب بتراكمات عدوانية ذات سلوكيات متناسبة معها , فتصنع وجودا تدميريا قابلا للتطور إلى صراعات وحروب داخلية مريرة وقاسية , لأن الدم سيكون الناطق الرسمي بلسانها.

فالفرق ما بين المجتمعات الغربية والعربية , أن الأولى تطغى على أحاديثها لغة الحياة بمعانيها الجمالية والمعرفية الخالصة البعيدة عن الإنسكابات الإنفعالية المؤثرة بالسلوك اليومي , والثانية يسودها التعكير والتوظيف السلبي للعواطف والإنفعالات المُفضية للعُراك.

وما أكثر تفاعلات العُراك في مجالسنا ولقاءاتنا , وتلك مصيبة عربية قاتمة , علينا أن ندركها , ونتعلم مهارات عدم الحديث في موضوعات تؤجج السلبي الكامن فينا , وتعزز الإيجابي الطيب الجامع الرحيم , ففي الإنسان قوتان وطاقتان , وعلينا أن نوظف ما نختاره منهما , ولنا الخيار , فإما أن نمضي في توظيف الطاقات السلبية التي جرعتنا مرارات ما نحن فيه , أو أن نسعى لتوظيف القدرات الإيجابية ونسخرها لصناعة الحياة الأفضل والأجمل والأرقى , التي تمنحنا السعادة والألفة والمحبة والأمن والسلام.

والخيار خيارنا , ونحن الذين نقرر مصيرنا في الختام!!

ولكن بالموضوعات التي تسود بين الناس , فما يتحدث به الناس هو المهم والمؤثر بالسلوك

فالعيب العربي ليس في الإنقطاع عن واقعهم فقط , وإنما العلة العظمى تكمن في أنهم من المجتمعات المصابة بإضطراب الحديث عن السياسة والدين , فهم مدمنون على هذا السلوك الذي يساهم بالفرقة والتناحر والصراع

الواقع العربي منذ منتصف القرن العشرين وحتى اليوم يؤكد بوضوح ساطع , أن المهيمن على التفكير العربي العام هو الدين والسياسة , وجميع الأحاديث يتم إختصارها بهذين الموضوعين لا غير .

العلة الجوهرية فيما يتناوله الناس يوميا في أحاديثهم ومجالسهم , فهم لا يتحدثون عن الرياضة والفن والعلم والفلسفة والمسرح والفلم والمباراة الرياضية , وما سيقومون به من سفرات سياحية ومتع جمالية

السائد في مجالسهم ولقاءاتهم , ما هو عاطفي إنفعالي سلبي , يتسبب بتراكمات عدوانية ذات سلوكيات متناسبة معها , فتصنع وجودا تدميريا قابلا للتطور إلى صراعات وحروب داخلية مريرة وقاسية , لأن الدم سيكون الناطق الرسمي بلسانها

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa285-250121.pdf

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي / المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com / http://www.arabpsynet.com/

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf